(٥)

قتل المُصلِّين جريمةٌ عُظمى[١]

الخطبة الأولى :

أما بعد ، أيها الإخوة المسلمون :

عودة بعد غياب :

طال انقطاعي عن هذا المنبر فترة من الزمن طالت نسبيًّا ، وَقَعتْ فيها وقائع ، وحَدَثت فيها أحداث . هذه الأحداث تحتاجُ إلى التعليق ، وقد احترت عن أيِّ شيء أتحدَّث؟

هناك أمور كبيرة حدثت ، ولكن لا ينبغي أن تشغلنا ، مثل : خروج (كلينتون) من البيت الأبيض ودخول (بوش) الابن مكانه ، وسقوط (باراك) وحلول (شارون) محلَّه . هذه أمور وإن كانت مهمَّة لا ينبغي أن تشغلنا ، فتغيُّر الأشخاص على المسرح مع بقاء الرواية المُمثَّلة لا يَهُمُّنا كثيرًا .

هناك أحداث أخرى كثيرة حدثت ، مثل العدوان الأمريكي البريطاني المفاجئ على العراق ، مثل ما يحدث في اليمن من دماء تُسْفَك ، مثل الصراع الذي يحدث في السودان ، مثل ما يحدث في بلاد شتَّى . كلُّ هذه أمور تستحقُّ أن نقف عندها وقفه تأمُّل وتعليق .

كارثة قتل المصلِّين :

ولكن الشيء الذي أجبرني على التعليق ، وأزعجني أيُّما إزعاج ، وأقلقني أيُّما إقلاق ، في تلك الفترة الماضية ، هو : قتل المُصَلِّين ، وأنَّ هناك أناسًا يتقرَّبون إلى الله تعالى بقتل الناس في المساجد ، وهم راكعون ساجدون لله !

---

(١) ألقيت في جامع عمر بن الخطاب بالدوحة بتاريخ ٩ ذو الحجة ١٤٢٢هـ الموافق ٢٣ فبراير ٢٠٠١م .

OBEIKAN.COM

أرأيتم إلى هذه الكارثة؟! حدثت هذه الكارثة في المدَّة الماضية في اليمن أكثر من مرَّة ، وحدثت في السودان في هذه المدَّة مرَّة ، وهي المرَّة الثانية التي تحدث في السودان . يدخل بعض الناس ببندقيَّته أو بمدفعه الرشَّاش فيقتل عددًا من المُصَلِّين ، ويُجْهز عليهم ، والعجيب أنه يفعل ذلك تعبُّدًا وتديُّنًا!

هذه كارثة تستحقُّ أن نقف عندها .

ما الذي يجعل المسلم يدخل بيتًا من بيوت الله ، والنّاس فيه قائمون ، أو راكعون ، أو ساجدون ، متوجِّهون فيه إلى الله تبارك وتعالى ، فيستبيح دماءهم ، ويستبيح قتلهم؟!

حرمة الدماء عظيمة في كل الأديان :

إنَّ الدماء لها حُرمةٌ عظيمةٌ عند الله في الإسلام ، وفي كلِّ الأديانُ : ﴿ **أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا** ﴾ (المائدة:٣٢) .

« كلُّ ذنب عسى الله أن يغفره ـ كما جاء في الحديث ـ إلا مَن مات مشركًا ، أو مؤمن قتل مؤمنًا متعمِّدا »[(١)] . ويقول ﷺ : « لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ، ما لم يُصِبْ دمًا حرامًا »[(٢)] . ويقول عليه الصلاة والسلام : « لَزَوَال الدنيا أهونُ عند الله من قتل رجل مسلم »[(٣)] . والله تعالى يقول : ﴿ **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا** ﴾(النساء:٩٣).

---

(١) رواه أبو داود في الفتن والملاحم (٤٢٧٠) ، وابن حبان في الرهن (٥٩٨٠) ، وقال الأرناؤوط : صحيح ، والطبراني في الأوسط (٩٢٢٨) ، والبيهقي في النفقات (٢١/٨) ، عن أبي الدرداء ، وصححه الألباني في الصحيحة (٥١١) .

(٢) رواه البخاري في الديات (٦٨٦٢) ، وأحمد (٥٦٨١) ، عن ابن عمر . قال ابن العربي : الفسحة في الدين : سَعَة الأعمال الصالحة حتى إذا جاء القتل ضاقت ، لأنها لا تفي بوزره . انظر : شرح السنة للبغوي بتحقيق شعيب الأرناؤوط (١٤٩/١٠) .

(٣) رواه الترمذي في الديات (١٣٩٥)، والنسائي في تحريم الدم (٣٩٨٩) ، مرفوعًا ، والترمذي في الديات (١٣٩٥م) ، وقال : روي مرفوعًا وموقوفًا والموقوف أصح ، والنسائي في تحريم الدم (٣٩٨٨) موقوفًا ، عن عبد الله بن عمرو ، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع (٥٠٧٧) .

OBEIKAN.COM

هذه النصوص كلُّها تجعل اقتراف الإنسان لهذه الجريمة كبيرة من الكبائر ، ومُوبقة من المُوبقات . بل لا يجيز الإسلام للمسلم أن يقتل كافرًا ـ غير محارب ـ بغير حقٍّ . إذا كان بيننا وبينه عهد فلا يجوز قتله ، و« مَن قتل معاهدًا لم يَرَحْ رائحة الجنة »[1].

بل لم يجز الإسلام أن يقتل الإنسان حيوانًا غير مُؤْذٍ ، وقد عرَفنا أن امرأة دخلت النار في هِرَّة حبستها ، « فلا هي أطعمتها ، ولا هي تركتها تأكل من خَشَاش الأرض »[2].

كلُّ ذي رُوح محترم في نظر الإسلام ، فلا ينبغي للإنسان أن يبغي على غيره ، وأن يتعمَّد قتله ، فهذا من عمل الجاهلية .

سفك الدماء في الجاهلية :

في الجاهلية ما كانوا يبالون بقتل الناس ، وكانوا يُغيرون بعضهم على بعض :

وأحيانًا على بكر أخينا إذ ما لم نجد إلا أخانا[3]

لا يبالون بسفك الدماء ، بل قتلوا أولادهم من إملاق ، أو من خشية إملاق ، والله تعالى يقول : ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾ (التكوير:٨،٩).

ولذلك كان الرسول عليه الصلاة والسلام يُحذِّر أصحابه ـ وخصوصًا في حجَّة الوداع ـ أن يعودوا كأهل الجاهلية ، ويقول : « لا ترجعوا بعدي كُفَّارًا يضرب بعضكم رقاب بعض »[4]، فهذا من عمل الكفَّار ومن شأن الجاهلية . ويقول : « سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر »[5].

---

(١) رواه البخاري في الجزية (٣١٦٦) ، وأحمد (٦٥٩٢) ، وابن ماجه في الديات (٢٦٨٦) ، عن عبد الله بن عمرو .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في بدء الخلق (٣٣١٨) ، ومسلم في السلام (٢٢٤٢) ، عن ابن عمر وأبي هريرة .

(٣) من شعر عمير بن شييم ، يلقب بالقُطامي .

(٤) متفق عليه : عن جرير ، وقد سبق تخريجه صـ٦١ .

(٥) متفق عليه : رواه البخاري (٤٨) ، ومسلم (٦٤) ، كلاهما في الإيمان ، كما رواه أحمد (٣٩٠٣) ، والترمذي في البر والصلة (١٩٨٣) ، والنسائي في تحريم الدم (٤١٠٩) ، وابن ماجه في المقدمة (٦٩)، عن ابن مسعود .

فكيف يستبيح المسلم أن يقتل أخاه المسلم ؟

دوافع القتل عند الناس :

بعض الناس يتقاتلون من أجل الدنيا ، فيقتل الإنسان أخاه من أجل أمر من أمور الدنيا ، أو في سَوْرة من سَوْرات الغضب ، حَمِيَّة لنفسه أو لقومه أو لغير ذلك . هذا ما يحدث ، وهو ما ننكره على الناس ، لأن القتل مُوبقة من المُوبقات السبع ، وجريمةٌ من الجرائم العظمى ، ولذلك جعل الإسلام في عقوبتها القصاص : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَى ﴾ (البقرة:١٧٨) ، ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة:١٧٩).

في القصاص حياة للناس :

﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ﴾ أي : فُرض عليكم ـ كما في قوله : ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ (البقرة:١٨٣) ـ ففي القصاص حياةٌ للناس ، لأنَّ فيه ردعًا للقاتل حتى لا يعود لمثل هذا ، فإذا قتلناه فقد أوقفنا نزيف الدماء ، وضحَّينا برُوح واحدة حمايةً لأرواح أخرى ، هذا معنى الحياة : ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ (البقرة:١٧٩) .

وإن كان هناك في عصرنا مَنْ يزعم الرحمة بالإنسان ، كأنهم أرحم من الله بعباده ، وينادون بإلغاء عقوبة الإعدام ، كما حدث عند بعض الغربيين .

فالإسلام أوجب القصاص في القتل العمد : ﴿ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ﴾ (الإسراء:٣٣) . فقد كانوا في الجاهلية يقتلون بالواحد اثنين وثلاثة ، ويقتلون غير القاتل ، يقتلون شيخ القبيلة أو يقتلون كبير القوم ، فجاء الإسلام ، وقال : لا يُقتل غيرُ القاتل : ﴿ فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ﴾

(الإسراء:٣٣).

لماذا يقتل الإنسان أخاه الإنسان؟ لماذا يقتل المسلم أخاه المسلم ؟

OBEIKAN.COM

دوافع قتل المصلِّين :

هؤلاء الذين يقتلون الناس في المساجد ، ما دوافعهم إلى هذا ؟ بعض الذين يكتبون في الصحف وغيرها يقولون : إنَّ وراء ذلك الأزمات الاقتصادية ، والظواهر الاجتماعية ، والأسباب النفسية ، إلخ .

وأنا أقول : هذه أمور لها دَخْلُها من غير شكٍّ ، والإسلام لا ينكر الدوافع الاقتصادية كما قال : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ﴾ (الأنعام:١٥١) . ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ﴾ (الإسراء:٣١) ، أي : الفقر ، فجعل للفقر دَخْلاً في هذه الحوادث ، ولكن ليس هذا هو الدافع الوحيد أو الأساسي .

الفكر الخارجي هو الدافع :

الدافع الأساسي لهذه المآثم ، ولهذه المظالم ، ولهذه المذابح : دافع فكري . وراء ذلك فكر مُخْتلٌّ ، عقولٌ فهمت الإسلام فَهمًا سقيمًا ، فهمًا خاطئًا ، فرأينا مثل هذه المذابح .

رأينا هذه المذابح في كثير من البلدان ، ليس في اليمن ، ولا في السودان فقط ، رأيناها في باكستان إلى اليوم ، في الجزائر إلى اليوم .

هذه المذابح نشأت من هذا الفكر المُخْتل ، الفكر الخارجي ، فقد وجدنا هؤلاء الخوارج على الأمة منذ عهد الصحابة رضوان الله عليهم ، وجدناهم يستحلُّون دماء المسلمين . إنه فكر الغُلوِّ الذي حذَّر منه النبي ﷺ وقال : « إيَّاكم والغُلوَّ في الدين ، فإنما أهلك مَنْ كان قبلكم الغُلُوُّ في الدين »[1] ، وقال : « هلك المتنطِّعون ، هلك المتنطِّعون ، هلك المتنطِّعون »[2] . المُتنطِّعون : المُتعمِّقون ، المُتشدِّدون ، المُبالغون في فَهم الأمور . أخبر النبيُّ ﷺ بهلاك هؤلاء .

هذا هو خطر الغلوِّ في الدين .

---

(١) رواه أحمد (٣٢٤٨) ، وقال مخرِّجوه : إسناده صحيح على شرط مسلم ، والنسائي (٣٠٥٧) ، وابن ماجه (٣٠٢٩) ، كلاهما في المناسك ، وابن حبان في الحج (٣٨٧١) ، وقال الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم ، عن ابن عباس ، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٢٨٣) .

(٢) رواه مسلم في العلم (٢٦٧٠)، وأحمد (٣٦٥٥)، وأبو داود في السنة (٤٦٠٨)، عن ابن مسعود .

بداية الفكر الخارجي :

وقد بدأ ذلك منذ عهد النبوَّة ، قسم النبي ﷺ بعض أموال الغنائم على بعض الناس ، إذ رأى أن يتألَّف بعض الناس بِلُعَاعَة من الدنيا . . . ببعض الأموال ، لِيُحبِّب إليهم الإسلام ، ويُثبِّتهم عليه ، وتبقى قبائلهم على هذا الدين[1] ، فقام بعض الناس[2] وقال : هذه قسمة ما أُريد بها وجه الله . يعترض على رسول الله ﷺ ، ويتَّهمه بالجَوْر ـ بأبي هو وأمي ـ في قسمته وترك العدل.

غاب عن هذا الجِلْف ـ الجافي الأحمق ـ سرُّ السياسة التي يتَّبعها رسول الله ﷺ ، فاتَّهمه بالجَوْر والظلم في قسمته . وهمّ بعضُ الصحابة أن يضربوا عنقه ، واستأذنوا الرسول في ذلك ، فقال : « لا (ثم أخبرهم) إنه سيخرج من ضِئْضِئ هذا قوم ـ من أصل هذا الرجل سيتبعه قوم على شاكلته ـ يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، يقرأون القرآن ـ يعني : عُبَّاد ... صُوَّام ... قُوَّام ... قُرَّاء للقرآن ، ولكن يقرأون القرآن ـ لا يجاوز تراقيهم ـ يعني : يتلونه بألسنتهم ولا تتفهَّمه عقولهم ، ولا ترسخ معانيه في قلوبهم ـ يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرَّمِيَّة »[3]، « يقتلون أهل الإسلام ، ويَدَعون أهل الأوثان »[4] يترك أحدهم الوثنيَّ المشرك ويقتل المسلم !

---

(١) وكان هذا من عظيم سياسته ﷺ ، ففي الحديث عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ أعطى رهطًا وسعد جالس ، فترك رسول الله ﷺ رجلاً هو أعجبهم إليَّ ، فقلت : يا رسول الله ، ما لك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمنًا . فقال : « أو مسلمًا » . فسكت قليلا ، ثم غلبني ما أعلم منه ، فعدت لمقالتي ، فقلت : ما لك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمنًا . فقال : « أو مسلمًا » . ثم غلبني ما أعلم منه فعدت لمقالتي ، وعاد رسول الله ﷺ ، ثم قال : « يا سعد ، إني لأعطي الرجل وغيره أحبُّ إلي منه؛ خشية أن يكبَّه الله في النار » . متفق عليه : رواه البخاري (٢٧) ، ومسلم (١٥٠) ، كلاهما في الإيمان ، كما رواه أحمد (١٥٧٩) ، وأبو داود في السنة (٤٦٨٥) ، والنسائي في الإيمان (٤٩٩٢) .

(٢) هو ذو الخويصرة التميمي .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في المناقب (٣٦١٠) ، ومسلم في الزكاة (١٠٦٤) ، كما رواه أحمد (١١٢٨٥) ، وأبو داود في السنة (٤٧٦٤) ، والنسائي في الكبرى كتاب الخصائص (٨٥٠٧) ، عن حديث أبي سعيد الخدري .

(٤) متفق عليه : رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٤٤) ، ومسلم في الزكاة (١٠٦٤) ، كما رواه أحمد (١١٦٤٧) ، وأبو داود في السنة (٤٧٦٤) ، والنسائي في الزكاة (٢٥٧٨) ، عن أبي سعيد الخدري .

OBEIKAN.COM

تحذيره ﷺ من الخوارج :

أخبر عليه الصلاة والسلام أنه سيظهر هؤلاء الناس المُتعبِّدون ، ولكن المشكلة ليست في عبادتهم ، المشكلة في رؤوسهم ، في عقولهم ، إنهم لم يفهموا هذا القرآن ، ولم يفهموا هذا الدين ، وأرادوا أن يحملوا الكلَّ على أفهامهم السقيمة ، وآرائهم العقيمة .

ولذلك لما ظهر هؤلاء في عهد عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، كانوا في جيشه ، ثم انشقُّوا عليه ، طلبوا منه أن يقبل حكم المصحف في أول الأمر ، ثم بعد ذلك قالوا : لا حكم إلا لله ، الله تعالى يقول : ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ (الأنعام:٥٧) . فكيف تحكِّم الرجال في دين الله؟! وكفَّروا ابنَ الإسلام البِكْر عليَّ بن أبي طالب ، واسْتَحلُّوا دم فارس الإسلام ، وحكيم الإسلام ، وزوج فاطمة البتول ، وابن عمِّ الرسول ، وسيف الإسلام المسلول . كلُّ هذا نتيجة هذا الفكر المُتَطرِّف المُغَالي الذي خَرَج عن الحدود . هذا للأسف ما حدث من هؤلاء .

وقتلوا عليَّ بن أبي طالب باسم الإسلام ، وقال شاعرهم عمران بن حطَّان يمدح قاتل عليٍّ ، عبد الرحمن بن مُلجَم :

يا ضَرْبَةً من تقيٍّ مـا أراد بـــها ... إلا لِيَبْلُغ من ذي العرش رضـــوانا

إني لأذكـــره يومـــا فأحســـبه ... أوفى البريـــة عنـــد الله ميزانـــا[1]

قاتل عليِّ بن أبي طالب أوْفى الخلائق ميزانًا عند الله؟! ماذا تقول في هذا النوع من الفكر؟ هذا هو الفكر الذي يَسْتَحلُّ دماء الناس وأموالهم وحُرُماتهم ، لأنه لم يفهم الإسلام كما ينبغي .

واجب العلماء والمربِّين :

الفكر الرديء خطر على الأمة ، ولهذا كان على العلماء والدعاة والمُربِّين أن يُعلِّموا هؤلاء الإسلام الصحيح ، وأن يردُّوهم بعد شرودهم إلى طريق الله ، إلى طريق الحقِّ ، وأن يأخذوهم بالحكمة والرفق ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً .

---

(١) ورد عليه بعض العلماء فقال :

بل ضربة من شقي ما أراد بـــها ... إلا ليبلغ من ذي العرش خسرانا

إني لأذكـــره يـــوما فأحســـبه ... أشقى البريـــة عنـــد الله ميزانا

هذا الفكر لا يقاوم بالسيف ، السيف يمكن أن يسكتهم فترة من الزمن ، ثم بعد ذلك يظهرون من جديد . ولكن الفكر لا يقاوم إلا بالفكر ، والشبهة لا تقاوم إلا بالحُجَّة ، وهذا ما ينبغي أن نفعله مع هؤلاء .

هؤلاء استحلُّوا قتل المُصلِّين ، مع أنَّ النبيَّ ﷺ قال : «نُهيت عن قتل المُصلِّين»[1]. وحينما تحدَّث عن أمراء الجَوْر وأمراء السُّوء ، وقال : «وشرار أئمَّتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم». قيل : يا رسول الله ، أفلا ننابذهم بالسَّيف ؟ أفلا نقاتلهم بالسيف ؟ قال : «لا ، ما أقاموا فيكم الصلاة»[2]. ما داموا يُصلُّون فلا تُنابذوهم بالسَّيف ، فالصلاة عصمةٌ لهم .

واستأذنه بعض الصحابة أن يقتل رجلاً من المنافقين ، فقال : «لعله أن يكون يُصلِّي»[3] . فإذا صَلَّى عَصَمَتْه الصلاة .

الأحاديث الواردة في عصمة دماء المسلمين :

بل إنَّ قول : (لا إله إلا الله ، محمّد رسول الله) . كافيةٌ في عِصْمَة دم الإنسان وماله ، كما جاء ذلك في أحاديث شتَّى :

١- عن عمر رضي الله عنه ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال : «أُمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله . فإذا قالوا : لا إله إلا الله عَصَموا منِّي دماءهم وأموالهم إلا بحقِّها ، وحسابُهم على الله»[4]. أي : إذا كانوا يضمرون شرًّا في أنفسهم ، فنحن نتعامل

---

(١) رواه أبو داود في الأدب (٤٩٢٨) ، والدارقطني في العيدين (٥٤/٢) ، عن أبي هريرة ، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (٤١١٩) .

(٢) رواه مسلم في الإمارة (١٨٥٥) ، وأحمد (٢٣٩٨١) ، وابن حبان في السير (٤٥٨٩) ، عن عوف ابن مالك الأشجعي .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في المغازي (٤٣٥١) ، ومسلم في الزكاة (١٠٦٤) ، كما رواه أبو داود في السنة (٤٧٦٤) ، والنسائي في الزكاة (٢٥٧٨) ، عن أبي سعيد الخدري .

(٤) متفق عليه : رواه البخاري في الزكاة (١٣٩٩) ، ومسلم في الإيمان (٢٠) ، كما رواه أحمد (١١٧) ، وأبو داود في السنة (١٥٥٦) ، والترمذي في الإيمان (٢٦٠٧) ، والنسائي في الزكاة (٢٤٤٣) . وينظر شرح هذا الحديث وبيان معناه في كتابنا (فقه الجهاد) الطبعة الأولى مكتبة وهبة ٣٢٧/١ .

بالظاهر ، والله يتولَّى السرائر ، وحسابُهم على ما أضمروا إلى الله تبارك وتعالى وليس إلينا ، وحسابهم في الآخرة وليس في هذه الدنيا .

كلمة (لا إله إلا الله) وحدها تعصمُ مالَ صاحبِها ، وتعصم دمه .

٢- وما حدث لسيدنا أسامة بن زيد رضي الله عنهما في إحدى المعارك ، فقد لقيه مشرك فأراد أن يضربه بالسيف ، فقال الرجل : لا إله إلا الله . عندما اقترب منه أسامة ، وأصبح متمكنًا منه ، قال الرجل : لا إله إلا الله . فضربه بسيفه فأطار عنقه . ثم جاء إلى النبي ﷺ ، وقصَّ عليه القصة ، فقال : « يا أسامة ، أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟! » . قال : إنه إنما كان متعوِّذًا . يعني : أنه قالها ليحمي نفسه بعد أن تمكَّنتُ منه . قال :« أقتلته بعد ما قال : لا إله إلا الله؟! » . وكرَّرها عليه[1] .

وفي رواية : إنما قالها خوفًا من السلاح . قال : « أفلا شَقَقْتَ عن قلبه؟! ». أي : ما يدريك لعله في هذا الوقت انشرح صدره للإسلام . « فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟ ». إذا حَاجَّك الرجل أمام الله ، وقال : قتلني هذا بعد أن قلتُ هذه الكلمة العاصمة . قال أسامة : فما زال يُكرِّرها عليَّ حتى تمنَّيتُ أني أسلمت يومئذ . أي : ولو ضاع جهاده وما سبق هذه الواقعة من أعمال .

٣- وكذلك قال المقداد الكندي للنبيِّ ﷺ : يا رسول الله ، أرأيتَ إن لقيتُ رجلاً من الكفّار فقاتلني ، فضرب إحدى يديَّ بالسيف فقطعها ، ثم لاذ منِّي بشجرة ، فقال : أسلمتُ لله . أفأقتله ـ يا رسول الله ـ بعد أن قالها؟ قال رسول الله ﷺ : « لا تقتله » . قال : يا رسول الله ، إنه قد قطع إحدى يديَّ ، ثم قال ذلك بعد أن قطعها ، أفأقتله؟ قال رسول الله ﷺ : « لا تقتله ، فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله ، وإنَّك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال »[2].

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في المغازي (٤٢٦٩) ، ومسلم في الإيمان (٩٦) ، كما رواه أبو داود في الجهاد (٢٦٤٣) ، والنسائي في الكبرى كتاب السير (٨٥٤٠) .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في المغازي (٤٠١٩) ، ومسلم في الإيمان (٩٥) ، كما رواه أحمد (٢٣٨١٧) ، وأبو داود في الجهاد (٢٦٤٤)، والنسائي في الكبرى كتاب السير (٨٥٣٧) .

يعني أنَّ الرجل الذي قتلته بعد (لا إله إلا الله) أصبح بمنزلتك قبل أن تقتله ، وأنت أصبحتَ بمنزلته قبل أن يُقْتَل ، يعني أصبحت كأنك مشرك ، كأنك ضيَّعتَ هذا العمل الصالح كلَّه . فخوَّفه أن يقتل إنسانًا قال : (لا إله إلا الله) .

فكيف بمَنْ قال : (لا إله إلا الله) ، ودخل المسجد للصلاة؟ المسجد حماية ، المسجد دار أمن ، لا ينبغي أن يُقْتحم المسجد من أحد ، لا من حاكم ، ولا من محكوم . الناس إذا دخلوا المسجد فقد أمنوا . لكن هؤلاء يستحلُّون دماء المؤمنين ولو كانوا في بيوت الله عزَّ وجلَّ .

خطر الفكر الخارجي :

ما الذي أصاب هذه العقول؟ إنه الفكر الخارجي ، فكر التكفير ، يُكفِّرون غيرهم من المسلمين ، كلُّ مَنْ لا يؤمن بفكرتهم فهو كافرٌ حلال الدم والمال !

وقد عرف ذلك العلماء السابقون ، فكانوا يلجأون إلى مداراتهم خوفًا من أذاهم . أحد علماء المعتزلة مرَّ بجماعة من الخوارج فسألوه : مَنْ أنت؟ فقال لهم : مشرك مُستجير . قالوا : إذن من حقِّك أن نوصِّلك إلى مأمنك ، ونقرأ عليك القرآن . قال تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ (التوبة:٦) . فهم أسمعوه كلام الله ، وأبلغوه مأمنه حيث يريد ، ولو قال لهم : أنا مسلم ، لضربوا رقبته[1]!

قتل أهل الإسلام وترك أهل الأوثان :

هذه هي الآفة أيها الإخوة ، ولذلك قال النبيُّ ﷺ عن هؤلاء : « يقتلون أهل الإسلام ، ويَدَعون أهل الأوثان »[2] .

اذهب فقاتل أعداء الإسلام ، اذهب إلى الشيشان ، اذهب إلى البوسنة ، اذهب إلى كشمير ، اذهب إلى الضفة الغربية إذا استطعتَ أن تصل إلى هناك ، ابحث عن أعداء الإسلام ، بدل أن تقتل المسلمين .

---

(١) روى هذه القصة ، المبرد في الكامل في اللغة (١٢٢/٣) ، والرجل هو : واصل بن عطاء .

(٢) متفق عليه عن أبي سعيد الخدري ، وقد سبق تخريجه صـ٧١ .

OBEIKAN.COM

يَدَعون أهل الأوثان وأهل الإلحاد وأهل الكفر البَوَاح ، ويقتلون أهل الإسلام . هذه هي المصيبة ، أيها الإخوة ، مصيبة هذا الفكر المريض .

إنهم يُكفِّرون الناس ، وإذا كفَّروا الناس استحلُّوا دماءهم وأموالهم . والناس لم يقاتلوهم ، ولم يعتدوا عليهم ، كيف تقاتل إنسانًا لم يَعْتدِ عليك؟ حتى ولو كان كافرًا ، الله تعالى يقول : ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾ (الممتحنة:٨) من المشركين ، ﴿ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ (الممتحنة:٨) . هؤلاء الكفَّار ، فكيف بالمسلمين؟

الله تعالى يقول : ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ (البقرة:١٩٠) حتى في القتال الرسمي بين الدولة الإسلامية وأعدائها .

النهي عن قتل الرهبان في الصوامع :

نجد الخلفاء الراشدين كانوا ينهون الناس عن قتل الرهبان . يقول سيدنا أبو بكر لقوَّاده : ستجدون رجالاً في الصوامع فرَّغوا أنفسهم للعبادة ، فدَعُوهم وما زعموا أنهم فرَّغوا أنفسهم له[١] .

ونهى سيدنا عمر عن قتل الحرَّاثين (الزُّرَّاع والفلاحين) ، وقال : اتقوا الله في الفلاحين ، الذين لا ينصبون لكم الحرب[٢].

معنى هذا : أنه لا يُقاتل إلا مَن حمل السلاح وقاتل المسلمين ، فكيف يُقتل الناس في المسجد؟ نحن منهيُّون عن قتل الرهبان في الصوامع من النصارى ، فكيف نقتل المُصلِّين في المساجد من المسلمين ؟

---

(١) رواه مالك (٩٦٥) ، وعبد الرزاق (١٩٩/٥) ، كلاهما في الجهاد ، والبيهقي في الكبرى كتاب السير (٨٩/٩) ، عن أبي بكر .

(٢) رواه سعيد بن منصور فيما جاء في قتل النساء (٢٣٩/٢) ، وابن أبي شيبة (٣٣٧٩٢) ، والبيهقي في الكبرى (٩١/٩) ، كلاهما في السير ، عن عمر .

التكفير هو الخطر الأكبر :

هذه ـ أيها الإخوة ـ فتنة فكريَّة عظيمة تدخل على بعض الشبَّان ، تَتَسلَّل إليهم شيئًا فشيئًا ، حتى تُكوِّن هذه الأفكار السوداء المظلمة عن المجتمع من حوله ، فيرى نفسه مسلمًا ، والناس كلهم كَفَرة . يرى الناس في وادٍ وهو في وادٍ ، هذا هو الخطر الأكبر .

الخطر الأكبر : هو تكفير المجتمع من حوله ، تكفيرُ الناس بالجملة ، باعتبار أنه هو الوحيد الذي على حقٍّ ، والناس كلُّهم على باطل ، بمَنْ فيهم من العلماء ، ومَن فيهم من الصُّلحاء ، ومَنْ فيهم من أهل الخير والفضلاء ، كلُّهم ـ في نظره ـ على باطل ، كلُّهم كفَّار .

هذه هي المصيبة ، ولو رجعوا إلى حقائق الإسلام لعلموا أنهم مخطئون .

لا يتَّسع الوقت ـ أيها الإخوة ـ لأُحدِّثكم عن القواعد التي ينبغي أن نرجع إليها إذا أردنا أن نُحاكم هذا الفكر[1] ، فالأصل أن الإنسان يدخل في الإسلام بـ(لا إله إلا الله محمّد رسول الله) ، وإذا دخل في الإسلام بيقين لا يخرج منه بالشكِّ ، لا يخرج منه إلا بيقين مثله ، أن يثبت كفره بالأدلة القاطعة .

المعاصي لا تُكفِّر ولو كانت كبائر :

ولا يثبت الكفر بمُجرَّد المعاصي ولو كانت كبائر ، فإنَّ الله تعالى قال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَى ﴾ (البقرة:١٧٨) ، القصاص من القاتل المتعمِّد ، ثم قال : ﴿ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖ ﴾ (البقرة:١٧٨) ، أثبت أخوَّة الإيمان للقاتل .

ولذلك ترى القرآن يقول : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا ﴾ (الحجرات:٩) ، من المؤمنين وهم يقتتلون ، فقد يقاتل المؤمنُ المؤمنَ بناءً على تأويلات خاطئة .

---

(١) للشيخ القرضاوي رسالة وجيزة مركزة بعنوان : (ظاهرة الغلو في التكفير) ، ضمَّنها ثماني قواعد جامعة ، وبيَّن من خلالها مدى الخطأ الجسيم الذي سقط فيه الذين أسرفوا في التكفير .

OBEIKAN.COM

وقال تعالى عقبها : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ (الحجرات:١٠).

هناك أحاديث تتحدَّث عن المعاصي كأنها كفر ، ولكن الكفر منه ما هو أكبر وما هو أصغر ، الكفر منه ما يُخرج من الملَّة ، ومنه ما لا يُخرج من الملَّة .

ثم إنَّ الإنسان قد يجمع بين بعض خصال الكفر والنفاق وخصال الإيمان . النبي عليه الصلاة والسلام قال لأبي ذرٍّ : « يا أبا ذر ، إنك امرؤٌ فيك جاهليَّة »[1] . لأنه قال لبعض الصحابة : يا ابن السوداء . أبو ذرٍّ على سابقته وفَضْله وصدقه وثناء الرسول عليه في أكثر من حديث قال له : « إنك امرؤٌ فيك جاهليّة » . إنك تفاضل بين الناس بالألوان ، هذا أسود وهذا أبيض ، هذا سيد وهذا عبد ، هذا عربيٌّ وهذا أعجميّ .

فقد يجامع الإيمان بعض النفاق وبعض شُعَب الكفر ، وكما قال الله تعالى في قوم : ﴿ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ﴾ (آل عمران:١٦٧) ، الإنسان إذن يتحرَّك إيمانه صعوداً وهبوطًا ، وقوَّة وضعفًا .

الكبائر تخدش الإيمان وتنقصه ، ولكنها لا تزيله ولا تهدمه تمامًا : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ـ أي : إيمانًا كاملاً ـ ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن »[2] . المقصود بالإيمان هنا : الإيمان الكامل . فلا بدَّ أن نردَّ النصوص بعضها إلى بعض .

والناس يتفاوتون في الدرجات ، كما قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ (فاطر:٣٢) ، وكلُّهم من الأمة المُصْطفاة ، حتى الظالم لنفسه الذي

---

(١) متفق عليه : عن أبي ذر ، وقد سبق تخريجه صـ٦٢ .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في المظالم (٢٤٧٥) ، ومسلم في الإيمان (٥٧) ، كما رواه أحمد (٨٨٩٥) ، وأبو داود في السنة (٤٦٨٩) ، والترمذي في الإيمان (٢٦٢٥) ، والنسائي في الأشربة (٥٦٥٩) ، وابن ماجه في الفتن (٣٩٣٦) ، عن أبي هريرة .

OBEIKAN.COM

يرتكب بعض المُحَرَّمات ويترك بعض الواجبات هو ممَّن ﴿ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال في هذه الآية : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ (فاطر:٣٢) . قال : « هؤلاء كلُّهم بمنزلة واحدة ـ منزلة الاصْطفاء ـ وكلُّهم في الجنة »[1] .

لا بدَّ أن نفقه ديننا حتى نقف أمام هذه الظاهرة الخطيرة ، التي تَتَسرَّب إلى شبابنا وأبنائنا وتدخل عليهم، كما يتسرَّب المرض إلى الإنسان الصحيح شيئًا فشيئًا، وهو لا يشعر به .

نسأل الله تبارك وتعالى أن يُفقِّهنا في ديننا ، وأن يُنير بصائرنا ، وأن يُرينا الحقَّ حقًّا ويرزقنا اتباعه ، ويُرينا الباطل باطلاً ويُوفِّقنا لاجْتنابه ، اللهم آمين .

أقول قولي هذا ، وأستغفر الله تعالى لي ولكم ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم ، وادعوه يستجب لكم .

الخطبة الثانية :

أما بعد ، فيا أيها الإخوة المسلمون :

انتخاب شارون رئيس وزراء لإسرائيل :

لا شكَّ أنّ الكثيرين كانوا يتوقَّعون أن أتحدَّث عن (شارون) ومجيء شارون بعد (باراك) ، مع أنكم تعرفون رأيي في هذه الأمور من قديم .

أنا لا أُعلِّق كثيرًا على تغيُّر الوجوه ، ما دامت السياسة واحدة ، والفلسفة واحدة ، والأهداف واحدة ، بل الطرائق واحدة . كلُّ ما في الأمر أن هؤلاء يلعبون على الحبلين ، ويضحكون علينا بأقوال ليس وراءها أفعال ، وبوعود ليس معها إنجاز .

---

(١) رواه أحمد (١١٧٤٥)، وقال مخرِّجوه : إسناده ضعيف لإبهام الرجل من ثقيف والرجل من كنانة ، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين ، والترمذي في تفسير القرآن (٣٢٢٥) ، وقال : حديث غريب حسن لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، والطيالسي (٢٢٣٦) .

OBEIKAN.COM

ماذا كسب العرب ؟ وماذا كسب الفلسطينيون من باراك الذي صفَّقوا له ، والذي أعطاه العرب أصواتهم في الانتخابات الماضية؟ هل أخذنا منْ باراك شيئًا؟ لم نأخذ إلا السراب يحسبه الظمآن ماءً ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا . ما أخذنا إلا هذه الدماء التي سُفكت ، والحُرُمات التي انتُهكت ، والبيوت التي دُمِّرت ، وكلُّ ما حدث منذ انتفاضة الأقصى إلى اليوم فهو من صنع باراك .

فلماذا نخاف من شارون؟ ما الذي سيحدثه شارون أكثر من هذا؟ بالعكس ، أنا أفضِّل سياسة شارون على سياسة باراك ، لأنَّ الوضوح يُريحنا ، نُريد الناس الذين يكشفون عن أنفسهم ، أما الذين ينوِّمونا ويُخدِّروننا بالوعود المعسولة ، والأقوال الزائفة ، ولا يُحقِّقون منها شيئًا ، فلا نستفيد من هؤلاء إلا أن يضرب بعضنا بعضًا .

ما الذي حدث في عهد باراك؟ السلطة تعتقل أبناء (حماس) ، وأبناء (الجهاد) ، وتتقرَّب إلى باراك بما يريده من إيقاف الانتفاضة ، وإيقاف العمليَّات الجهاديَّة ، السلطة تحاول أن تتقرَّب ، ولكن هذه المحاولات لم تُجْدِ فتيلا ، ولم تصنع شيئًا .

أنا كنتُ ممَّن استراح لانتخاب (نتنياهو) ، وقلتُ : إنَّ هذا أوضح ممَّن كان قبله . وأنا الآن أكثر استراحة لانتخاب (شارون) ، لأنه جزَّارٌ معروف ، جزَّارُ (صبرا وشاتيلا) .

الانتفاضة يجب أن تستمر وتُساند :

ودعونا نواجه الموقف بصراحة ، الموقف لا يعالج إلا بالمقاومة ، وإلا باستمرار الانتفاضة . لا بدَّ للانتفاضة أن تستمرَّ ، ولا بدَّ للانتفاضة أن تقوى ، ولا بدَّ للانتفاضة أن تُساند ، ولا بدَّ للمقاومة أن تُؤيَّد وأن تُعضَّد .

للأسف إنَّ كثيرًا من الناس يريدون أن تهدأ هذه الانتفاضة ، ونرى ذلك في الإعلام العربيِّ ، بعد الحماس الدافق ، بعد التأييد القويِّ ، بعد أن كانت القنوات الفضائيَّة والصُّحف وأجهزة الإعلام تتحدَّث كلَّ يوم ، بدأ الصوت يخفت ، لماذا؟ هناك أوامر وتوجيهات من السيِّد الأكبر ، من أمريكا بتخفيف الوضع ، بالسكوت عن هذه الانتفاضة .

OBEIKAN.COM

وقديمًا ـ في الانتفاضة الأولى ـ سُئل مُخطِّطهم الكبير (كيسنجر) : ماذا نفعل أمام هذه الانتفاضة ؟ ألا من سبيل إلى إخمادها؟ قال : بلى ، هناك سبيل واحد . قالوا : ما هو؟ قال : تمويتها إعلاميًّا ، عتِّموا عليها في الإعلام ، لا تنشروا عنها شيئًا .

فبدأوا يُعتِّمون عليها ، وكلَّما عُتِّم عليها رأينا الناس تضعف هممهم . الفلسطينيّون أنفسهم حينما ينظرون إلى القنوات وإلى الأجهزة العالميَّة تتحدّث عنهم تثور ثائرتهم ، وتقوى هممهم ، وتنشط عزائمهم . هذه طبيعة البشر .

والآن يريدون أن يُكرِّروا هذا الأمر ، أن يُموِّتوا هذه الانتفاضة إعلاميًّا .

وأنا أطالب العرب والمسلمين جميعًا أن يشدُّوا أزر إخوانهم ولا يتخلّوا عنهم أبدًا ، أن يظلُّوا مع هذه الانتفاضة يؤيِّدونها ماديًّا ومعنويًّا ، بالمال وبالأنفس وبالدعاء . على الأقل ندعو لهم دائمًا : أن يفتح الله لهم فتحًا مبينًا ، وأن ينصرهم نصرًا عزيزًا .

لا بدَّ أن نقف مع إخواننا ، فما أُخذ بالقوَّة لا يُسْتردُّ إلا بالقوَّة .

إنَّ سياسة الصهاينة جميعًا سياسة واحدة ، سياسة (إسرائيل الكبرى) ، من الفرات إلى النيل ، ومن الأرز إلى النخيل . هذه السياسة يمكن أن يسكتوا عنها حينًا ، مرحلةً من المراحل ، ثم بعد ذلك يحاولون الكَرَّة ويعيدونها ، ولا يوقفهم إلا أن نقف لهم بالمرصاد ، وأن نُقوِّيَ إخواننا المجاهدين في داخل الأرض المحتلة ، في فلسطين ، في أرض النُبوَّات ، أرض الإسراء والمعراج .

لا بد ـ أيها الإخوة ـ أن نقف مع إخواننا ولا نتخلَّى عنهم ، ولا ننتظر من أمريكا ولا غير أمريكا أن تحُلَّ لنا المشكلة .

أمريكا الآن أرادت أن تصرف الأنظار عن المشكلة فضربت العراق ، ضربت العراق بعدوان صارخ ، عدوان أمريكي وبريطاني مباغت مفاجئ لا مُبرّر له ، ولا ضرورة له ، ولكنها تريد أن تشغل الناس عن القضية الأساسية ، قضيّة فلسطين ، بالحديث عمَّا يجري في العراق .

وماذا فعل العراق الآن ، وقد قُلِّمت أظافره ، ودُمِّرت أسلحته؟ ماذا يريدون من العراق أكثر ممَّا فعلوا؟ هل يريدون ألا يبقى في العراق أيَّ قوَّة؟ هذا ما يريدونه

بالفعل ، هذا ما يريده شرطيُّ العالم كما يُسمُّون أمريكا! وإن كان في هذا ظلمٌ للشرطة ، لأن الشرطة تحمي الأمن ، وتحافظ على أرواح الناس وأموالهم وممتلكاتهم وحُرُماتهم ، وهؤلاء لا يحافظون على أمن الناس ، ولا على أموالهم ، ولا على ممتلكاتهم ، ولا على حُرُماتهم ، ولذلك أولى أن نُسمِّيها : بلطجي العالم ، فتوَّة ، قبضاي ـ كما يقولون ـ وليس شرطي العالم .

هذا هو شأن أمريكا الآن ، هي تقوم بدور بلطجيِّ العالم الذي يفرض قوَّته على الناس ، مُدلاً بما يملك من أسلحة ، وما يملك من قوَّة عسكريَّة وقوَّة اقتصادية وقوَّة علمية وتكنولوجية ، وكان أوْلى بأمريكا أن تستخدم هذه القوَّة في صالح البشر ، وفي خير البشر ، وفي أمن البشر ، وفي الوقوف مع الضعفاء ضدَّ الأقوياء ، ومع الفقراء ضدَّ الأغنياء المتسلِّطين ، ولكنهم لم يفعلوا ذلك .

يا أيها الإخوة : لنعتمد على الله قبل كلِّ شيء ، ثم لنعتمد بعد ذلك على أنفسنا ، ولن يَتِرَنا الله أعمالَنا ، ولن يَتَخلَّى الله عنا : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾ (محمد:٧) ، ﴿ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴾ (محمد:٣٥).

أيّها الإخوة : هناك إخوة من منظمة الدعوة الإسلامية يأخذون أثمان الأضاحي أو ما يتبرَّع به الناس للأضاحي ، فهناك في أفريقيا آلاف وملايين يكاد الكثيرون منهم يموتون جوعًا ، ومَن تبرَّع لهؤلاء بثمن أضحية فقد فعل خيرًا كثيرًا ، فجودوا بما تستطيعون ، وما كان عند الله فلا يضيع ، ﴿ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ (سبأ:٣٩) .

فضل العشر الأول من ذي الحجة :

وأذكِّركم بأيَّام العشر من ذي الحجَّة التي تبدأ من الغد ، فهذه الأيَّام العمل الصالح فيها أحبُّ إلى الله تعالى ممَّا سواها من الأيام ، وأفضل ما يتقرَّب به المسلم إلى الله في هذه الأيَّام : الصلاة ، والصيام ، والصَّدقة ، وتلاوة القرآن ، وذكر الله ، وفعل الخيرات .

فعن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ أنه قال : «ما العمل في أيَّام العشر أفضل من العمل في هذه». قالوا : ولا الجهاد ؟ قال : «ولا الجهاد ، إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء»[1].

اللهم هيِّئ لنا من أمرنا رشدا ، اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقلَّ من ذلك ، اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا ، واجعل غدنا خيرًا من يومنا ، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلِّها ، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة .

اللهم أعزَّ الإسلام وأيِّد المسلمين ، اللهم اجْعَل كلمةَ الإسلام هي العليا ، واجعل كلمة أعداء الإسلام هي السُّفلى .

اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام ، اللهم انصرنا على اليهود الغادرين ، وانصرنا على الصليبيين الحاقدين ، وانصرنا على الوثنيين المُتعصِّبين ، وانصرنا على جميع أعدائك أعداء الدين ، اللهم أنزل عليهم بأسَكَ الذي لا يُردُّ عن القوم المجرمين ، اللهم أَدِل دولتهم ، وأذهب عن أرضك سُلطانهم ، ولا تَدَع لهم سبيلاً على أحد من عبادك المؤمنين .

اللهم انصر إخوتنا في فلسطين ، وانصر إخوتنا في لبنان ، وانصر إخوتنا في كشمير ، وانصر إخوتنا في الشيشان ، وانصر إخوتنا المجاهدين في كلِّ مكان ، اللهم أيِّدهم بروح من عندك ، وأمدَّهم بملأ من جندك ، واحرسهم بعينك التي لا تنام ، واكلأهم في كنفك الذي لا يُضام .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ (آل عمران:١٤٧) .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الحشر:١٠).

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (العنكبوت:٤٥) .

---

(١) رواه البخاري في العيدين (٩٦٩)، وأبو داود (٢٤٣٨)، والترمذي (٧٥٧)، وابن ماجه (١٧٢٧) ، ثلاثتهم في الصوم .

OBEIKAN.COM